غروب الشمس

تأليف : علي رضا ميرزا محمد
ترجمة : رضا مهيار

مُتَرْجَم من اللُّغَةِ الفارسيَّةِ الى الْعَربيّةِ

www.nehzatetarjome.ir

بِسم اللّه الرّحمن الرّحيم

ما اَجْمَلَ هَذا المَولُود وَ ما اَطْهَرَهُ وَ ما اَحْسَنَه!

كانَتِ الشَّمسُ قد اَشْرقَتْ مِن خَلفِ الْجبال كأَنّها تَبْتَسِمْ وَ تَضْحك. كان الْجَوَّ صافِياً وكانَ النَّسِيمُ العَلِيلُ يَهبُّ مُلائماً يُيقظُ النَّخِيل عَن المَنام. كانت الطّيورُ تُغرّد وَكانت المدينة مشرِقَةً بِالأنوارِ وَ أَصْبحتْ جميلةً كَالْجَنّة. كانَ عَليُ (ع) وَ فاطِمَة (ع) فى غايَة الْفَرَح وَالسُّرور حيثُ قدْ اَخبَرا النَّبيّ (ص):

«ايّها الرّسولُ الْحبيبُ، قُرَّةُ عَينٍ لَكَ. لقد وَلدَتْ اِبْنَتُكَ فاطِمة طِفلاً جميلاً كأنّه الوردُ الأحمر يَزْدهَر لِلجميع.»

فَرِحُ النَّبي (ص) وَ قامَ من مكانِه وَ تَوَجَّهَ اِلى دارِ عليّ. وعندما وصلَ الى بابِ الدّار دَخلها بهدُوءٍ.

www.nehzatetarjome.ir

ما اصغرَ الْبيت، بَيْتٌ لم يكنْ فيه سِوى غُرفة واحِدة، غرفةٌ كانَ نصفها مَفْروشاً بِجُلودِ الْغَنم وَالنِّصفُ الآخر بِلا وِطاء وما كانَت فِي الْغُرفة إلّا كوزٌ صغيرٌ مِن الماء وقطعاتٌ من الخُبز وقليلٌ مِن الْمِلح.

فَما احسنَ تلك الْحياة الْبَسيطَة!

كان عليٌّ (ع) فَرِحاً وكانتْ فاطمةُ (ع) فَرحانَة اَيضاً إذ دَخَل النَّبِيّ (ص) الغرفةَ فَدَقَّقَ النَّظَرَ فى وجهِ الطفل الجميل وَابْتَسم فَرحاً ثم اَنْحنى على الطّفل واخذهُ فى حضنهُ وبينما كانتْ عيناهُ قد امْتلأتْ من الدَّمع وضعَ شفتيهِ الشّريفتين على خدّه واخذ يقبّله ويلاطِفُهُ وقد سَمَّاهُ (الْحُسَين).

لقد مَضَت ايّام وكان الحُسين (ع) يَتَرَعْرَعُ فى حُضْن امّه كما انّه قد تعلّم من ابيه اداب الحياة. وكان النّبيّ (ص) يحبّه كثيراً وقد قال النَّبيّ (ص) مراراً فى حَقِّه:

«اللّهم، اِنّى اُحِبُّه فاَحبهُ انتَ.»

ولقد كانت تُشاهَدُ فى مُحيّا الحُسين منذُ نُعُومة اظفاره آثارُ الفُتُوّة والشّرف والصّفاء، حيث كان يَرى كيفَ اَنَّ اباه

www.nehzatetarjome.ir

يساعِدُ المَظْلومين والمَحْرومين، وكيفَ يجالسُ الفُقراءَ وَالْمَساكِين فكان هُو بِدَورِه أيضاً يحذو حذوَ ابيه. ومن جهةٍ اخرى لمّا كان يشاهِد الصّدق والصّواب والعفّة والزّهد فى أخلاقِ أُمِّهِ كانَ يتأثّر بها ويَتَعَلَّمُ منها.

كان الحسينُ قد بلَغ السّابعة من عمره اذ توفّى جدُّه الحبيبُ وَارتحل وذهب الى جوارِ ربّه، وبعد مدّة قصيرة فقد أمّه الحُنون حيث التحقت بجدّه (ص). ومع انَّ الحسين كانَ قد اصبح محروماً عن الطافِ جدّه الرّاحل وكذلك عن حَنان امّه العَفِيفة إلّا انه كانَ يتمتَّعُ فى كنفِ ابيه (عليّ (ع)) ويتزوّد من عواطفه الكريمة وكذلك ينتفع من صُحبةِ آخِيه (اَلحَسَن (ع)) وأختيه (زَينب (ع) وأُمّ كلثوم (ع)) ويعيش معهم عيشةً راضيةً مطمئنّةً.

وبعد انقضاء الأيّام والأشهر لقد تولّى ابوه عليّ (ع) الخلافة على المسلمين ولكنّ (معاوية) الّذى كان فاسقاً وفاجراً وكان يسكنُ فى قصر فخم فى مَدينة دمشق قد اعلن العداوة على عَلِيّ (ع) ونصبَ نفسهُ خليفة للمُسْلمين ولكنّ النّاس كانوا يعرفون معاوية جيّداً بأنّه كالذِّئب الْمُفْتَرس يسفكُ

www.nehzatetarjome.ir

الدّماء ويفسد فى الأرض كما انّهم كانوا يعرفون عليّاً بانه حُجّة الحقّ وهو المثلُ الأعلى للإنسانيّة والتّقوى. وكان معاوية نفسه يعرفُ علياً اكثرمن غيره بأنّه رجلُ الحَقّ والعَدالة ولكنّ الدّنيا قد اغرّته وآبهرته حيث كان يَروم الوصول الى السّلطة والحكم بايّة صورة ممكنة ولذلك خالَفَ علياً بشدّة ونَصَبَ له العِداء فى مواقِفَ عديدة.

اما الإمام علي (ع) فلما شاهَدَ كيف انّ معاويّة يتصرّف بأمورالمُسلمين من غير حقّ اعلن عليه الجهاد وقاومَهُ فى مواقِفَ مشهورُة ولكنّه مع الأسفِ الشّديد قُتل ظلماً بِضَربةِ سَيفِ رَجُلٍ باغٍ فى يومٍ من ايّام شهر رمضان حيث كان يُصلّى صلاة الصّبح فى المحراب.

فقد الحسينُ اباه فى تلك الحادثة وتقلّد الأمر اخوهُ (الْحَسَن) واصبح خليفةً واِماماً لِلْمُسلمين وكان الْحَسَن (ع) يُرشِدُ الْمُسْلِمين الى الأَعْمالِ الْحَسَنة والزّهد والتّقوى واخذ يعلن بينهم كيف انّ معاوية يفسق ويفجر ويتطاول على النّاس ويخبرهم باعماله السَّيِّئة وتصرّفاته العدوانيّة.

اما معاوية الذى كان يخاف الحسن ويُبغضه فى توجيهِ

www.nehzatetarjome.ir

المسلمين وإرشادهم قد نفذ خُطّةً شِرّيرة فى القُضاءِ عليه وتَمَّ لهُ الأمر.

لقد مضت سِنون على ذلك ومات معاوية فتولّى الحكم بعده ابنُه (يزيد) الطّاغية والسّفاك الذى كان عدوّاً للاسلام والقرآن، فاخذ يطلب من النّاس ان يؤيّدوه ويُبايعوهُ فى توليتِهِ الحكم علَى المُسلمين.

ولكنّ المُسْلِمينَ الأتقياء الّذين كانوا يعرفون يزيد ومساوِئَه وقبائحه كانوا يعتقدونَ بانّ (الحسين (ع)) وحده هو الّذى يجدُر به ان يكونَ والياً وقائداً لِلْمُسْلِمينَ لِأنَّه امامٌ عادلٌ طيّبُ القَلب وهو رجلُ الإيمان والتَّقوى ولذلك كانوا يحبّونه كثيراً ومِن جهةٍ اخرى كانوا يكرهون يزيد واصحابَه.

ولما كان يزيد يعلمُ لو انّ الحسين بايَعَه لَتَبِعَهُ الآخرون لذلك ارسلَ الى حاكِم المَدينة كتاباً يأمرُه فيه آن يأخذ له الْبيعةَ من الحسين (ع).

ولكنّ الحسين اَبى وامتنع عن قبول بيعةِ يزيد لأنّه كان يراه غيرلائِقٍ بالخلافة. اما المدينة فى تلك الأيام فكانت في اضطرابٍ وهياج فمن جهة كان نبأُ موتِ معاوية قد انتشر

www.nehzatetarjome.ir

فيها ومن جهة اخرى كانت مخالفة الأمام الحسين عثرةً فى سبيل استقرار حكومة يزيد لذلك نرى العقائد والآراء كانت تختلف واصواتُ الموافقين والمخالفين كانت تتصاعَدُ فى مختلفِ انحاء المدينةِ بِوُضوح.

ولمّا رأى الأمام الحسين (ع) انّ بقاءه فى المدينةِ قد يؤدّى الى نزاع وقتال لذلك قرّر ان يتوجه مع افراد عائلته واسرته الى مكّة.

وعندما صارت الشَّمس على اَهِبّة المغيب بِاَشِعَّتِها الدّمويّة من خلفِ النّخيل توجّه الحسينُ (ع) الى زيارةِ مراقدِ جدّه (مُحمد ص) وامّه (فاطمة ع) واخيه (الحسن ع) وبَعد انهاءِ الزيارة رجع الى داره حيث كانت المَحامِل مرتّبةً ومُزَيَّنَةً. وقافلةُ الحسين (ع) مُهَيّأةً لِلسَّفر وَالْمَسِير.

ولمّا حانَ اللّيل وخيّم الظّلامُ على المدينة اخذت قافلةُ الحُسين (ع) تتحرّك وتخرج من المدينة بهدوءِ وتجتاز البادِيَةَ مُتَّجِهَةً نحو مكّة.

وبعد بِضعةِ ايّام وصلت القافلة الى مكّة فاخذ النّاس من اهالى مكّة يفرحونُ و يستبشرونَ بقدوم ابن بنتِ النَّبي (ص)

www.nehzatetarjome.ir

اليهم ويُهنّئُ بعضُهم بعضاً.

اما الحسينُ ففى الوقتِ الذى كان منهمكاً فى العبادة وزيارة بيت اللّه الحرام كان يَسْعى فى تنوير اذهان النّاس وافكارهم وكان ايضاً يفكّر فى مصيره الّذى كان يترقبّه ويتذكّر بان النّبي (ص) كيف كان قد اوذى فى سبيلِ الأسلام وسَعى فى انجازِ مُهِمَّتِهِ وكذلك كان يتذكّر تفادى ابيه (علي ع) وبُطولاته فى مَيادينِ الحرب وكيف كانتْ امُّهُ (فاطمة ع) تَسعى فى سَبيل العَدالة وَ اعتلاءِ كَلِمَةِ الإسْلام وتعلّم المسلمات آداب الحَياة والمعيشة. ولذلك نرى الحسين (ع) لم يتوقّف حتى لحظة واحدة عن مكافحة الظّلم والجور وكان يُوَجّه النّاس ويرشِدُهم الى الحقّ والصّواب ويقول: «ايها النّاس، اِسمعوا وَاعلموا! اِنَّ يزيد رجلٌ فاجرٌ وفاسقٌ وظالمٌ، فلا يَحِقّ له ان يكون خليفة للمسلمين وليست له اهليّة بها، اَنَا لا ابايِعُه مادُمْت حيّاً ولا اَعْتَرِفُ بحكومتِه. اَمّا انتم فلا تَغْتَرُّوا به ولا بِذَهَبِه. ولا تلقوا انفسَكم بِأرْجُلِكُمْ اِلى نارِ جهنّم المُحرقة وتوكّلوا على اللّه لِتهتدوا وتَنالوا العِزَّ والشّرف.»

www.nehzatetarjome.ir

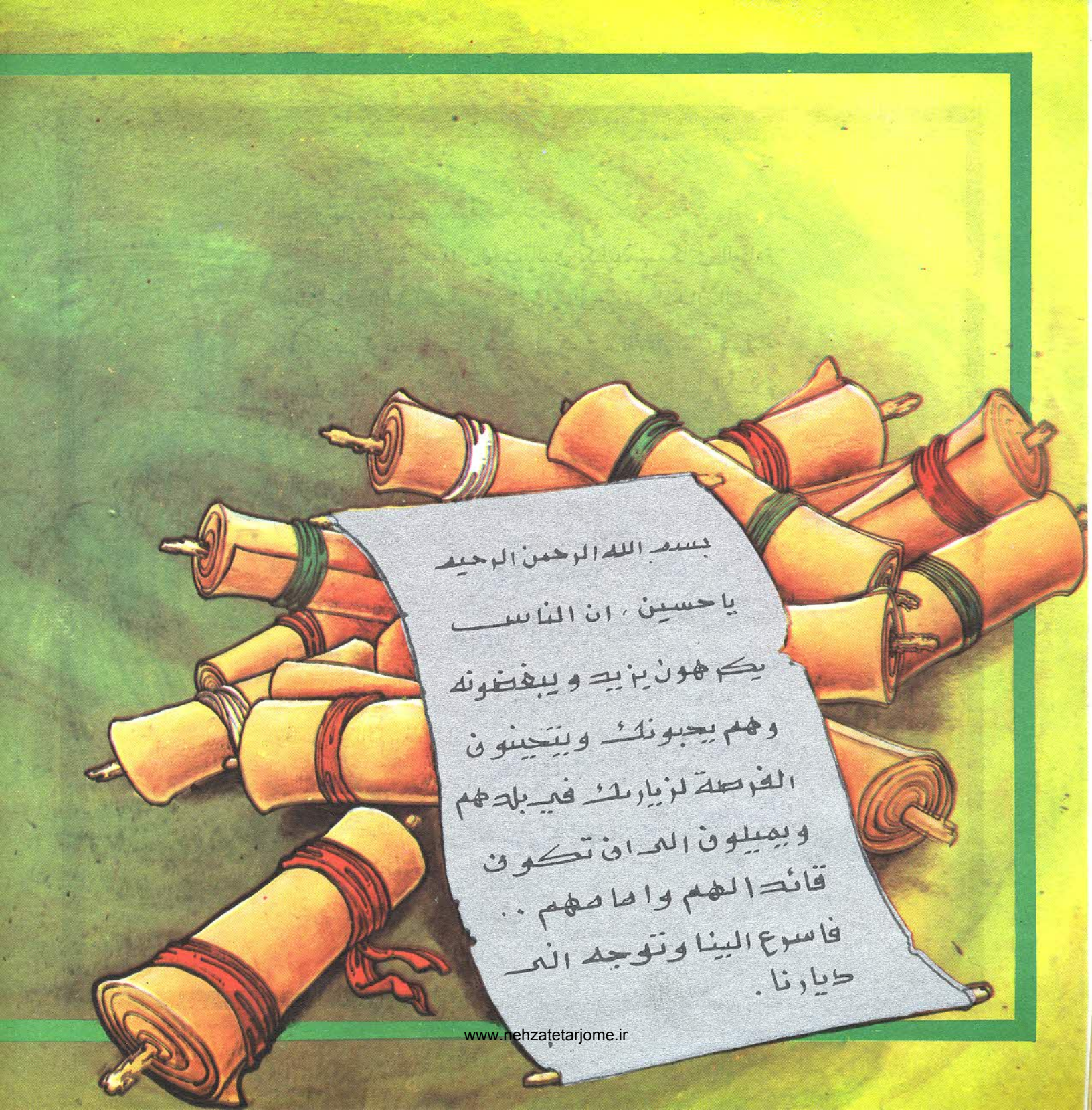

www.nehzatetarjome.ir

ولـمّـا علم اهلُ الكـوفـة بموقف الحسين (ع) تجاه يزيد وكيـفُ انّه قـد هاجر مـن المدينـة الى مكّة، كتـبوا الـيهِ رسائلَ عديدة وَ دَعوه الى بلدهم ومِمّا كتبوا اليه:

«يا حسينُ، ان النّاس يكرهونَ يزيد و يُبغِضونَه، و هم يُحبّونـك ويتحيَّنون الْفُرصَةَ لِزيارَتِك فى بلدهم ويَميلون الى ان تكونَ قائداً لهم وامامَهم. فَاَسْرِعْ اِلينا وتوجَّه الى دِيارِنا».

وعلى اثر ذلـك لـقد اوفد الامـامُ الحسين (ع) ابنَ عمّه الوفيّ «مسلم» الى الـكوفـة، وعندمـا وصل مُسلم الى الـكوفة اجتمع القومُ حولَه وتشاوَرَ معهم فأجابَ الجميع:

«ان الحسينَ هو قائدنا وسَيِّدنا الوحيد ونحن على اَتَمِّ الإستعداد اَنْ ننصرَهُ ونُكافِحَ يزيد.»

فـكتبَ مسلـمُ رسالـةً الى الإمـام الحسين (ع) واخبره بِالأمر ودَعاه أَن يتوجّه الى الكوفة.

كانَ الفَجْر قد طلعَ وكانت الشّمس قد اَشْرقت حيث اَصْبَحَتْ قـافلـةُ الحسين (ع) فى عِدّة من اهل بيتـه واصـحـابه مُهَـيَّـأة لِلسَّـفـر، ومنظّـمـة فى صُفوفٍ مـرتّـبة وصـاغـية لأوامر الحسين (ع). فلـمّـا امـر الإمـام بـالسّير، تحـركـتِ الجـمـالَ

www.nehzatetarjome.ir

بِمَحمولاتِها وسارتِ الْخُيُول بِفُرْسانِها كَحَلَقاتٍ متّصلة بعضُها ببعض.

وفى اثناءِ الطّريق وصل الخبرُ المؤسف بمقتل مُسلم الى الإمام الحسين (ع) فاغتّم الإمام كثيراً وحزن الجميعُ بذلك وحَيّوا مسلماً بِبُطُولاتِه واسْتَمَرُّوا فى المسير.

وكانتِ القافلة تسير وتتقدّم نحو الكوفة، ولما قربت من الكوفةِ شوهدت عجاجٌ واتربةٌ متصاعِدَةٌ فى الفَضاءِ وبعد لحظات ظهرت من بينها فِرْقَة خَيّالة و تَبيَّنَ أنهم مِن جنود يزيد جاؤوا لِيَمْنَعُوا الحسين (ع) عَن الذّهاب الى الكوفة فسدّوا الطريقَ على الإمام وطلبوا منه ان يبايع يزيد.

فقال لهمُ الحسين (ع):

«اِنَّ الموتَ آحْلى لي مِن هذا الأمر. آنا لاَ أعطى بِيَدى لِرَجُلٍ فاسدٍ وفاجرٍ مثل يزيد ما دُمْتُ حيّاً، ولا ارضخُ لما يريد ولا ابايعُه قَطّ.»

ولمّا شاهد الحسين (ع) ان طريق الكوفة مسدودة امامه أمر أصحابه بالسّير الى جهة اخرى، فكانت القافلة تسير حتى وصلت الى ارض جنب الْفرات تسمّى «كربلاء». فنزل

www.nehzatetarjome.ir

اصحابَ الحسين من الخُيُول وَالجِمال، ونَصَبُوا الخيام لتسكنَ فيها النّساءُ وَالأطفال.

اما اهلُ الكوفة الّذين اغرَّتهم الدُّنيا بذهبها وفضّتها نَقَضُوا عهدُهم مع الحسين (ع) وباعُوا دينَهم بِدُنياهُم وجَهَّزُوا انفسهم لِمُحارَبة الإمام.

ولقد تعيّن «عُمربن سعد» الرّجل الدّنيّ الفاسِد قائداً وآمراً على جنود يزيد.

وقد وصل جيشُ عمربن سعد الى كربلاء فى اليومِ السّادس من شهر محرم وَاستَقَرّوا آمام قافلةِ الحسين (ع). وفى اليوم السّابع من محرم حاصَرُوا الطّريق المُؤَدّي الى نهرِ الفرات وحالُوا بينَ الحُسين واصحابه وبَيْنَ الماء. وَمَنَعُوا اِيْصالَ الماءِ اِلى خِيامِه.

وَعِندَما حلَّ الليلُ توجَّه العَبَّاسُ آخو الأمام الشّجاع مع بعضِ اعوانِه اِلى نهرِ الفرات وفى لَحَظاتٍ سَريعة مَلأُوا القِرابَ بِالماءِ ورَجَعوا الى الخِيام. فتزوَّدَتْ قافلةُ الحسين فى تِلك اللّيلةِ بِالماءِ ولكنّ العَدُوّ فى صَباحِ الْغَد شَدَّدَ الْحِصارَ عَلىٰ الْفُرات فَاَصْبَحَ الْحُصُولُ على الماءِ متعسّراً جِداً.

www.nehzatetarjome.ir

لقد حَلَّ اليومُ التّاسِع من مُحرّم، فتغيّرتْ ارضُ كربلاء واصبحت مَمْلُوءَة بِكَثْرةِ افراد جَيش العَدُوّ وكان الجنودُ على اهبّة الإستعداد لِلْحَرب وكان زعماؤُهم وقُوّادُهم ينظّمون صفوفَ الحرب لإنْجاز خُطَطِهم القِتالِيّة.

ولما حانَتِ الظّهيرةُ وَاخذت الشَّمسُ تَتَحوّل مِنَ الْمَشرِقِ اِلى الْمَغْرِب خرج عُمربن سعد مِن مَقَرِّه وأَمَر الجيشَ اَنْ يتَهَيَّأَ لِلهُجُوم، فقام الجنودُ وأَخذوا يلبسُون الدّروع ويَشُدون الأَحزِمة ويأخذون السّيوف بِأيديهم فى صُفوف منظّمة اِستعداداً للحرب وتعيّنوا فى جهتين، اَلفُرْسان وهم الرّاكِبون على الخُيولِ فى جهةٍ وَالمُشاة فى جهةٍ أُخرى من ساحةِ الْحَرب.

وكان عُمْربن سَعد يتقدّمُهم وهو راكِب على فَرَسِه مَع الاُلوفِ الْمُؤَلَّفة مِنَ الأَعداءِ وهم يقصدُونَ الهُجومَ على الحُسَين وَاَصْحابِه فتقدّموا ووقفُوا تِجاه اصحابِ الحُسين (ع) الّذين كان يبلغ عددّهم بِضعاً وسَبعين رَجُل.

ولمّا شاهَدَ العَبّاسُ بن عليّ تِلك الْوَضْعِيّة ركب فرسَه وتقدّم نحوَ الأعداءِ حتّى اقتربَ من جيش عُمربن سَعد فَسَأَلَهُمْ: «لِماذا أتيتُم اِلى هُنا؟»

www.nehzatetarjome.ir

فَأجابُوا: «جِئْنا لِمُحارَبَةِ الْحُسين.»

رجعَ العبّاس الى اخيه الحُسين واخبرهُ بالأمر فقالُ لَهُ الحسين (ع): «يا أخي، اِذْهبْ اليهم وَ اسألَهُمْ لِيُمْهِلُونا هَذِهِ اللّيلة.»

فَذَهبَ العَبّاسُ اِلى رَهْطِ العُدُوِّ وَ اَبْلَغَ عُمر بِما اَمَرهُ اَخُوه، فَوافقَ عُمر على ذلك و رَجَعَ العَبّاس الى الخِيام.

لَقد حلّ اللّيلُ وَكانَ القمرُ فى وسطِ السّماء يَسْطع نوره الضّعيف على ارضِ كربلاء ويلاحِظُ تلك المنظرةَ المُؤْلِمَةْ هُناك .

وكان جنودُ عُمربن سعد قد جلسوا فى ضوءِ القمر وخَلف سِتارٍ من لَهيبِ النّار الّتى كانوا قَد اَشْعَلوها. فكانوا يصلحون سُيُوفَهم ويحدّون أسِنَّتَهم وكانتْ اصواتُ الفَرَحَ وَالعِياط متصاعِدُةً بينهم فى الفَضاءِ. بينما كانُ اصحابُ الحسين (ع) بعيدين عن ماءِ الفرات وكانوا قد اشعَلُوا ناراً امام خِيامِهم اِستعداداً للدّفاع.

www.nehzatetarjome.ir

فقالَ (ع): «اذا كنتُم تعرفونني، فَلما ذا اِجْتَمَعْتُمْ على قِتالي؟!»
فأجابُوا: «يا حُسين؛ إمّا ان تبايعَ يزيد وإمّا ان تستعدَّ لِلقتال.»

فَاسْتَمَرّ الحسينُ فى بَيانِاتِه قائِلاً:

«واللّه لا ابايعُ يزيد و لا اُذْعِنُ لِما يريد حتّى اذا قتلتُمُونى، فَإنَّ المَوتَ مَعَ العِزّ والشّرف احلى عندِي من الحياةِ مع الذّلِّ والهَوان.»

ثم اشْتَعَلَتْ نارُ الحرب وكانت الرّماح والسّيوف تلمع تحت اشعّة الشمس واصبح الجَوّ مُغْبَرّاً وعِجيجاً. وقد برز اصحابُ الحسين واهلُ بيتِهِ وَاحِداً بعد الآخر الى ساحَةِ الحرب وَدافَعوا دِفاع الأبطال الى آن اسْتُشْهِدوا جميعاً فبقي الحُسين (ع) وحدَه بِلاناصِرٍ ولامُعين ولكنّه بدورِهِ دافَعَ عَن الحقّ دفاعَ الأبطال والشّجعان وقَتلَ عدداً كثيراً من افرادِ العَدُوّ، ولكنه فى النّهاية سَقَط من عَلى فَرَسِه عَلَى الأَرضِ مُلَطَّخاً بِالدّماءِ وَاسْتشهدَ.

www.nehzatetarjome.ir

وقد احرقَ الأعداءُ، خِيامَ الحسين وأَسَرُوا النِّساءَ والأَطفالِ مِن اهل بيتهِ بينما كانَ رِجالُ الحقّ وانصارُ الحسين قد ذهبوا الى حَياتهم الأبديّة الطيّبة.

وقد أَقْبَلَ اللَّيلُ وكانتُ ارضُ كربلاء قد احتضَنَتْ الجُثَثَ الطّيبّة من انصارِ القرآن وحفظتِه وكانَ القَمَرُ ينشرُ ضوءَهَ على تلك الْجُثَثِ المَقْتُولةِ الطّيبة وقد بقي «عَلِيّ زينُ العابِدين» وحدَه وهو اكبرُ اولادِ الْحَسين (ع) فَالتَحَقَ بِالسَّبايا مِن آلِ الرَّسول حيثُ كانَتْ قَد اتّجَهَتْ نَحْوَ الشّام.

*

www.nehzatetarjome.ir